مفهوم الفساد في القرآن الكريم

د. محمد عباس نعمان الجبوري

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

المقدمة

الفساد امر مرفوض ومستهجن بالوجدان، وعند العقل العملي بشكل عام؛ فان النفس لا تُقبل اليه ولا تسعى له كما هو حال كثير من القضايا التي يحسنها العقل أو يقبحها بغض النظر عن مصاديقها وكذلك الحال في الإصلاح الذي هو امر مرغوب فيه وتميل له النفس البشرية ؛ لذا نجد الإنسان يرفض صفة الفساد في الأشياء جميعها، وينفر منها ويسعى إلى إصلاحها إن أمكنه٠

مصطلح الفساد في القرآن الكريم لا يدل على ما هو متعارف عليه في أفكار عامة الناس ٠إنَّ لفظة الفساد تعني عدم الالتزام بما جاء به الله تعالى في القرآن المجيد من أحكام شرعية التي تتعلق بالسلوك الشخصي للإنسان، كشرب الخمر والزنى وعدم أداء فرائض وسوء الأخلاق وماشابه٠إنَّ إشاعة العدالة ونصرة الحق ودفع الظلم هي من أولويات الرجل المؤمن٠

إنَّ المنهج العلمي للبحث اقتضى أن تشتمل خطة البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مطالب وخاتمة تُلخص أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ٠

التمهيد

تعريف بالمصطلحات

من خلال البحث والتتبع والإمعان نجد أنه لا مجتمع يخلو من مظاهر الفساد بما فيها المجتمع الإسلامي والذي يكون الطهر والعفاف والنزاهة مما امتاز به الفكر الإسلامي في مختلف العصور.

فالفساد ظاهرة منتشرة في كل المجتمعات فدول العالم جميعا تشكو من هذه الظاهرة والتي تقوض أمنها الاجتماعي وأدائها الإداري وبرامجها الاقتصادية ٠

وخير ما ابتدأ به هو التعريف اللغوي للفساد من خلال معاجم اللغة حتى تحصل المقارنة بينه وبين استعمال القرآن الكريم لهذا المصطلح٠

قال ابن منظور(الفساد نقيض الصلاح، وتفاسد القوم: تدابروا او قطعوا الأرحام ٠٠٠واستفسد السلطان قائده إذا أساء إليه حتى استعصى عليه والمفسدة خلاف المصلحة، والاستفساد خلاف الاستصلاح)(١)

(فَسَدَ وفَسُدَ، فسَادا وفُسُودا ضد صلح فهو فسيد، فاسد القوم أساء إليهم ففسدوا عليه، الفساد اللهو واللعب، والفساد أخذ المال ظلما، والمفسدة مصدر الفساد أو سببه)(٢)٠

قال الراغب (الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا ويضاده الصلاح ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة)(٣)٠

فلو أمعنا النظر وتدبرنا ما قاله علماء اللغة، ننتهي إلى أنَّ أغلب الأشياء لها واجبات تؤديها من خلال الطريقة التي وضعت لها ضمن المهام المناطة بها، فإن أدت تلك الأدوار بالصورة التي رسمت إليها فيحكم عليها بأنها صالحة، أما إذا حصل التقاعس أو الاختلال في تأدية تلك المهام بعد خروج الشيء نفسه عن وظيفته ودوره ومهامه المتعارف عليها يحكم عليه أنه فسد بسبب الخروج عن الاعتدال والاستقامة فكل واحد له وظيفته أسندت إليه فالواجب يلزمه القيام بها على أكمل وجه، فإذا قصر في تأدية المهام الملقاة على عاتقه يقال أنه فسد كفساد الجسم بمرضه والآلة بخرابها والمسؤول بعدم تأدية مهامه وعدم انسجام المجتمع وحصول التنافر وفقدان المجتمع لأمنه، فالعقل يُحسن الأشياء ويستقبحها، فالأشياء

المستهجنة والمرفوضة بالوجدان هي الفاسدة وإنَّ النفس تستقبحها وتبتعد عنها، وإنَّ الصلاح يسعى أغلب الناس إليه كونه مرغوب ومقبول والنفس تميل إليه٠كما ذُكر سابقا٠

تعريف الفساد في الاصطلاح كما يراه فقهاء المسلمون ومفسروهم

عرفه جمهور الفقهاء في باب المعاملات: بمعنى البطلان، فالمعاملة يجب أن تكون صالحة بأركانها وشروطها، فإذا كانت فاسدة فقد تضمنت أشياء مخالفة للشرع سواء أكان ذلك من حيث الأركان أو الشروط ويبنى على هذا الحكم عدم ترتب أي من الآثار الشرعية على المعاملة التي وصفت بأنها فاسدة(٤)٠

أما الحنفية فلهم رأيهم في تعريف الفساد: فالفساد عندهم في باب المعاملات كون الفعل مشروعا بأصله أي صحيح الأركان وغير مشروع بوصفه أي بشروطه وعلى ضوء ذلك يعدون الفساد منزلة وسطى بين الصحة والبطلان ٠ فالمعاملة عندهم غير باطلة لأن بعض الآثار الشرعية تترتب عليها(٥)٠

الأصوليون يتفقون في استعمال هذه اللفظة مع علماء الفقه بالمعنى نفسه ومرة أخرى يريدون معنى مختلف٠

قال العز بن عبد السلام: المصالح أربعة أنواع: اللذات وأسبابها والأفراح وأسبابها، والمفاسد أربعة أنواع: الآلام وأسبابها والغموم وأسبابها وهي منقسمة إلى دنيوية وإخروية، فأما لذات الدنيا وأسبابها وأفراحها وآلامها وأسبابها وغمومها وأسبابها فمعلومة بالعادة ٠٠٠وأما لذات الآخرة وأسبابها وأفراحها وأسبابها وآلامها وأسبابها وغمومها وأسبابها، فقد دل عليه الوعيد والزجر والتهديد(٦)٠

وتعريف علماء المنطق للفساد قريب من التعريف اللغوي حيث يقولون: أنَّ الفساد هو انتقاض صورة الشيء وخروجه عن الاعتدال قليلا كان أو كثيرا وبالضد منه الصلاح واستعماله يكون في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة(٧)٠

ونستخلص ممَا ذُكر أعلاه أنَّ لفظة الفساد يطلق لغة كما تقدم على حالة الاختلال وفقدان التوازن التي تصاب بها الأشياء المادية والاعتبارية، فلفظة الفساد تطلق على الاختلال الحاصل في الأنظمة الادارية أو قسم منها ٠أما المعنى الاصطلاحي: فهي شاملة فلا تختص بالإدارة وحدها أو ما يكون قريبا منها وهي يستفاد منها اعطاء صورة حقيقية للفساد أو ما يتميز به من أشياء خاصة من المعاني المجردة كالبطلان والزوال ٠

ولو تدبرنا جيدا تعريف الشيخ الطوسي للفساد والذي قال فيه (والإفساد مأخوذ من الفساد: ٠٠٠ تقول: فسد يفسد فسادا والإفساد إحداث الفساد، والمفاسدة: المعاملة بالفساد، والتفاسد: تعاطي الفساد بين إثنين، والاستفساد: المطاوعة على الفساد(٨) (لا تفسدوا في الأرض فيقولون إنما نحن مصلحون ويقال لهم: آمنوا كما آمن السفهاء فيقولون أنؤمن كما آمن السفهاء)(٩).

(والإفساد هو خلاف ما توحيه الحكمة وهو ضد الإصلاح، فإذا قصر على المقدار أو أفرط لم يصلح)(١٠)

قيل: أنَّ الفساد هو: استخدام السلطة المخولة مؤسسيا، في تحقيق منافع خاصة ذاتية، خارج النطاق الذي رسمت له ٠فالفساد هو انحراف في استخدام الصلاحيات المخولة لأفراد طبعيين أو اعتباريين، في إطار مؤسسي يخولهم ممارسة هذه الصلاحيات لاستخدامها في أغراض وحدود معينة ونتيجة لتوافر درجة عالية من الصلاحيات ولتوفر الحكم التقديري لحائزي السلطة مع ضعف المساءلة والرقابة والحساب على استخدام السلطة، يوظف شاغلو مواقع السلطة هذه الصلاحيات الممنوحة لهم في تحقيق منافع ومصالح خاصة خارج ما رسم لهم وخارج الأغراض الممنوحة هذه الصلاحيات من أجلها(١١).

يمثّل الفساد، بالمفهوم السابق إيضاحه، ظاهرة مركّبة متنوعة متفاوتة الشّدة، متعددة الابعاد والاطراف والعوامل، إذ إن لها أشكالاً وأنماطاً عديدة. وتتفاوت انواع وانماط الفساد بتفاوت حجمه، والسياق الذي يجري فيه، وطبيعة السلطة المرتبطة به. وفي ما يلي، أهم تطبيقات الفساد وفق الحجم والسياق وطبيعة السلطة:

المطلب الأول

الفساد وما ينتج عنه من انحرافات في المجتمع البشري

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على أحسن حال وأعطاه العقل ليختبره فيما يؤمر به من فعل الخير وما ينهى عنه من فعل الشر٠

فالفساد لفظ شامل لكافة النواحي السلبية في الحياة وكذلك هو انحراف أو تدمير النزاهة٠

أولا: الفساد العقائدي

أغلب المجتمعات البشرية قديما ارتضت بعبادة الأصنام والأوثان والطواغيت وهذا هو الانحراف بعينه، والدليل على ذلك أنَّ معظم الرسل(عليهم الصلاة والسلام) كانوا يركزون في دعواتهم على ترك عبادة الأصنام والأوثان والطواغيت والتوجه إلى عبادة الواحد الأحد سبحانه كنبي الله نوح وهود وصالح وحسب ما ورد ذلك في الآيات القرآنية وكما يلي:

(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا إلاَّ الله إنِّي اخاف عليكم عذاب يوم أليم)(١٢) (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره إن أنتم إلاَّ مفترون)(١٣) (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إنَّ ربي قريب مجيب)(١٤)٠

فما كان جواب هذه المجتمعات إلاَّ الغوص والإصرار على تلك الضلالة والفساد والانحراف عن جادة الحق والصواب وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعد لنا إن كنت من الصادقين)(١٥)

فالله تعالى صدق وعده فأغرقهم عن بكرة أبيهم ٠

وكذلك تعامل قوم هود مع نبيهم وقوم ثمود مع نبيهم صالح بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب، ونتيجة التعنت الشديد من قبل تلك الأقوام وإصرارهم على ذلك جاءهم العذاب الأليم كما ورد في قوله تعالى (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين)(١٦)(١٧)٠

ثانيا: الفساد الأخلاقي

ذكر القرآن الكريم لنا أنَّ هناك مجتمعات بشرية كانت منغمسة في الفساد منحرفة عن الطريق المستقيم مبتعدة عن الأخلاق الحسنة التي ارتضاها الله لعباده، كقوم لوط حيث كانوا يمارسون اللواط العلني دون أي رادع قال تعالى عنهم (وجاء قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هنَّ أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد * قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد)(١٨) هذه الرؤوس العفنة والأدمغة المتحجرة لم ترتدع عن انحرافها وانغماسها في الرذيلة فلم يكن بد إلاَّ أن يعذبهم الله تعالى بأشد العذاب وكما جاء في قوله تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد)(١٩)، هكذا كان جزاء الذين ظلموا أنفسهم واتبعوا شهواتهم وشياطينهم(٢٠).

فالفساد الأخلاقي يُعد من أخطر أنواع الفساد كونه تعدِّي على العروض خادش لشعور الناس؛ والشريعة الإسلامية نظمت العلاقات الجنسية وقصرتها على الزواج وجعلت غير ذلك تعديا على حرمة الله تعالى قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون *إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن إبتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)(٢١)، فالزنا من أخطر أنواع الفساد الأخلاقي فالقرآن الكريم يذكر لنا دعوات قوم لوط وقوم شعيب وتُعد أعمال قوم لوط صورة من صور الفساد في الأرض، وهذا العمل الشائن الذي بدوره يؤدي إلى الأمراض المختلفة إضافة إلى تهديد النسل، واستمرار الوجود البشري(٢٢)، وهذا الموضوع يطرح في حضارة اليوم تحت عنوان (المشكلة الجنسية)التي أصبحت معلما بارزا وسيئا وخطيرا لا سيما في الحضارة الغربية والتي تسعى إلى حكم العالم اليوم، والجنسية المثلية التي يريد الغرب أن يقتنها كظاهرة إنسانية مقبولة وهذه الحالة يعتبرها القرآن الكريم من صور ونماذج الفساد في الأرض، ونتيجة لهذه

الظاهرة المقززة للمشاعر انتشرت الأمراض وعمَّ الخراب في الأرض فانتشر طاعون العصر (مرض الآيدز) وهذه الظاهرة تلقي بظلالها السيئة على العالم، وهي نموذج جلي لانهيار المجتمع وفساده وتفككه ٠

ثالثا: الفساد والانحراف الاقتصادي

هذا الانحراف واسع وخطير وهو أكل أموال الناس بالباطل وبطرق ملتوية وغير مشروعة، منها: البخس والغش وتنقيص المكيال والميزان، هذه الأعمال تقلب الموازين والاقتصادية تربك التعامل التجاري وتفتح الباب واسعا إلى الفساد والظلم ويسود الفقر ويصاب المجتمع بالفاقة والعوز كل ذلك يؤدي إلى انتشار الجريمة ٠

لذلك حرم الله تعالى ممارسة هذه الإعمال المنحرفة وألزم المسلمين خاصة والناس عامة بالابتعاد عنها وتوعد الذين يتعاملون بهذه الطريقة المنحرفة بالعقاب الشديد وهذا ما نجده في القرآن الكريم في قوله تعالى (ويل للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون *وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون *ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين)(٢٣).

هؤلاء الأقوياء انَّهم يبيعون ويشترون، فيشترون بأبخس الأثمان، ولكنهم يبيعونها بأغلاها لكي يحققوا أرباحا عالية على حساب الناس الفقراء، ويقومون بإرغام الناس عن طريق الاحتكار تحت مسمى العمل الحر والتجارة الحرة وأساليب الاستغلال التي تطورت مع الزمن ٠

فهؤلاء الاحتكاريون عندهم مكيالان فيأخذون بالأعلى ويعطون بالأدنى ولهم من القوة ما يجبرون به المجتمع على ما يحقق رغباتهم، سواء كان عن طريق قوة المال أو الجاه أو الاحتكار، المهم عندهم الربح أيا كان طريقه ٠ فالتطفيف: الأخذ من الناس بالباطل أو منعهم الحق ظلما وعدوانا ٠

فأولئك الأشرار اكلوا السحت إذا كان الاعتقاد بلقاء الله تعالى وناره وجنَّته بعيدا عنهم، ألا يظنون أنهم ملاقو ربهم يوم الحساب فهذا كاف في الردع والإحجام(٢٤)، لذا نجد أئمة أهل البيت(عليهم السلام)قد أولوا هذا الموضوع اهتماما بالغا حتى روي عن الإصبع بن نباته أنَه قال: سمعت أمير المؤمنين علي(عليه السلام) يقول على المنبر (يا معشر التجار: الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر إلى أن قال: التاجر فاجر، والفاجر في النار، إلَا من أخذ الحق وأعطى الحق)(٢٥)، وفي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام)أنه قال: (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكوفة يقتدي كل يوم بكرة من القصر، فيطوف في أسواق الكوفة سوقا سوقا ومعه الدرة على عاتقه فينادي: يا معشر التجار اتقوا الله عز وجل، فإذا سمعوا صوته ألقوا ما بأيديهم، وأرعوا إليه بقلوبهم، وسمعوا بأذانهم فيقول(عليه السلام): قدموا الاستعاذة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين. وجانبوا الكذب، وخافوا عن الظلم وإنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعيثوا في الأرض مفسدين. فيطوف (عليه السلام) في جميع أسواق الكوفة، ثم يرجع فيقعد للناس(٢٦).

ولبيان الغضب الإلهي على مثل هذه التعاملات المنحرفة، ضرب الله تعالى في كتابه العزيز مثلا قوم شعيب الذي أنزل فيهم العقاب الشديد على ما قاموا به من معاملات مالية منحرفة ٠

الشريعة الإسلامية أولت الاهتمام الكبير بتنظيم العلاقات المالية في المجتمع وهذا ما أشير إليه في قوله تعالى(وأحلَّ الله البيع وحرم الربا)(٢٧).

وقد تعرض القرآن الكريم إلى مصاديق منها فقدان الأمانة في الأسواق متمثلا في الغش والسرقة في البيع وعدم الصدق في العقود، إن التعامل الاقتصادي من بيع وشراء وإجارة ومضاربة وما شابه ذلك من أنواع التعامل المالي التي هي عقود بين الطرفين إذا سادها جو الصدق والثقة وعدم التجاوز على حقوق الآخرين والتزام كل طرف بما يتضمنه العقد، فإن التعامل التجاري والاقتصادي يصبح ناشطا وفعالا وبعيد كل البعد عن الخداع والاعتداء والغبن والتدليس، وبذلك تحل

الثقة والصدق في المجتمع محل قيم الجشع والظلم والاعتداء والغش التي تؤدي إلى زعزعة الروابط الاجتماعية وتماسك المجتمع ويهدد استقراره مما يعد أوضح صور الفساد في الأرض(٢٨)٠

لما للمال من أهمية كبيرة في حياة الأمة والمجتمع من الاسرة صعودا فقد أولى القرآن الكريم اهتماما في ذلك وهذا مانجده في بعض من آيات سورة النساء، فالمال عصب الحياة، فالحياة في أصلها وكمالها وسعادتها وعزها من علم وصحة وقوة واتساع عمران لاسبيل للحصول عليه إلّا بالمال وقد فصل القرآن الكريم بنظرة واقعية ذلك، كون المال قوام الحياة وأطلق تحذيره من أن يقع في أيدي السفهاء الذين لايحافظون عليه ولا يحسنون التصرف فيه ٠ وقد أمر بتحصيلها عن طريق التجارة الخالية من الاستغلال وكذلك عن طريق الزراعة وعن طريق التوسع في الصناعة وهذا كلّه ابتغاء من فضل الله سبحانه وتعالى ٠ وأكد القرآن الكريم على طلب السعي في تحصيلها بعد تأدية العبادات المفروضة وكثير من الآيات تشير إلى المال والحض على تحصيله واستثماره بالطرق المشروعة وأكد كذلك على صرف المال في الموضع المخصص له حتى يعود بالخير على الفرد والجماعة ويجب أن يكون بأيد أمينة الذين يقدرون رحمة الله تعالى لعباده من التمكن المالي(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)(٢٩).

فقد نهى القرآن الكريم عن الإسراف في المال كما نهى عن الضن به على الحقوق والواجبات، إذن الإسراف والضن كلاهما يوقع المرء في اللوم ويسلبه إلى الكلال والضعف (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)(٣٠)، والمحسور من انكشف أمره أو انحسرت قوته وزالت فانكشف وضعه(٣١)٠

فلو أخذنا قوله تعالى(ياءيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاً أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم أنَّ الله كان بكم رحيما)(٣٢)، الآية الكريمة تشعر بأن الحكم الذي تضمنته من مقتضيات الإيمان ٠

الأموال في الآيتين تشمل أموال الأفراد وأموال الأمة وأنَّه كما يحرم على الأفراد أن يأكل بعضهم أموال بعض بالباطل الذي لا يقره عرف صحيح ولا يبرره عقل سليم فإنَّ حرمة أكل أموال الأمة ووضعها في غير مصلحتها وفي غير ما تحتاج إليه أشدً عند الله حرمة وأكبر في نظر الإنسانية جرما وإذا كان العبث بأموال الأفراد اعتداء على حق الأفراد وفي استطاعتهم أن يكافحوا هذا الاعتداء، فإنَّ العبث بأموال الأمة اعتداء على الحق العام الذي يسمى في الشريعة الاسلامية حق الله تعالى وليس له قوة تحميه ألاً اليد الأمينة(٣٣).

هناك الكثير من الطرق الملتوية التي من خلالها تؤكل الأموال بالباطل ٠

منها: الأكل عن طريق الربا الذي يؤخذ استغلالا لحاجة الضعيف المحتاج؛ ذلك الفعل المشين البعيد عن معاني الرحمة والتعاون٠

ومنها: ما يؤخذ عن طريق التجارة والعمل فيما حرَم الله تعالى كالخمر ولحم الخنزير والميسر والمخدرات وكل ما يفسد الأخلاق ويعبث بالإنسانية٠

ومنها: ما يؤخذ من الأفراد في ما يقابل الحكم لهم أو الحكم على خصومهم وهو المتعارف عليه بالرشوة ٠

ومنها: ما يؤخذ باسم التوسط في اعطاء غير المستحق وحرمان المستحق كما يفعله سماسرة الوظائف وهذا كلًه في قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقوله تعالى (وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من الناس بالإثم وإنتم تعلمون)(٣٤).

ذلك أنَّ الرشوة مع ما فيها من أكل أموال الناس بالباطل مفسدة للأخلاق مُهدرة للكفايات مضيعة للمصالح فضررها أشد، وعاقبتها أوخم(٣٥).

ومنها: اسهام الفساد الاقتصادي، في حالة احتكارات القطاع الخاص في تراكم ثروات هائلة للمنشآت، نتيجة رفع الأسعار والتلاعب بالأسواق والغش في المعاملات والتواطؤ مع عناصر فاسدة في أجهزة الدولة واستمالتها لصالحها، وهي تسهم فيما يعرف بموجات تضخم الأسعار، والذي يؤدي بدوره إلى زلزلة القواعد والأوضاع المعيشية لذوي الدخل الثابت في

المجتمع وهم غالبيته٠ أما في حالة المشروعات والهيئات العامة، فهو يسهم في تقويض أداء هذه المؤسسات وتبديد مواردها وتقويض دورها في خدمة قطعات تنموية هامة كما يسهم في تكوين طبقة من الأثرياء تكونت ثرواتها من نهب القطاع العام(٣٦).

إذن هذا النوع من الفساد بالممارسات المنحرفة والاستغلالية للاحتكارات الاقتصادية وقطاعات الأعمال والتي يكون هدفها تحقيق منافع اقتصادية خاصة على حساب مصلحة المجتمع وغياب الرقابة وضعف الضوابط والقواعد الحاكمة كل ذلك يؤدي إلى تبديد موارد القطاع العام المملوكة للمجتمع ويحولها إلى ثروات خاصة لمن يديرها ٠

المال العام هو مال الجميع فالاعتداء الواقع عليه هو اعتداء على أموال الأمة وحتى الاعتداء على مال البعض هو اعتداء على أموال الأمة فتكون المسؤولية تضامنية بين أبناء الأمة لحفظ المال العام والذي هو حق الله تعالى فبه تسد حاجة المحتاجين وتأسيس المشروعات النافعة للمجتمع فهذه الأموال تأتي إلى خزينة الدولة الإسلامية عن طريق التبرع المالي الذي ندبت إليه الشريعة وضاعفت الأجر والمثوبة عليه وكذلك عن طريق الزكاة التي أوجبها ديننا الحنيف وجعلها ركنا من أركانه وكذلك الضرائب التي يفرضها أُولو الأمر وحسب ما تحتاجها البلاد من مشروعات الخير العام في نواحي الحياة وفي الوقت الحاضر تكون خزينة البلاد نتيجة استغلال ثروات البلاد الطبيعية وبالطرق المشروعة(٣٧).

حفظ المال العام من مسؤوليات الجميع، لأنَّ أكل الأموال بالباطل يؤدي إلى الحقد والتباغض وبالتالي يؤدي إلى الاغتيال والتقاتل وإفساد النظام ونشر الفوضى وسطوة الإرهاب ٠ فالمال شقيق النفس والروح كونه مقوم من مقومات الحياة فسلب المال العام والخاص من المجتمع والأفراد فهو سلب عنصر مهم من عناصر الحياة، كل ذلك يؤدي إلى القتل والدمار، وخير دليل على ذلك ما تشهده قاعات المحاكم، وهذا ما أكدته الآية الكريمة (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا)(٣٨).

المطلب الثاني

الفساد في الأرض ومدى تأثير النظام السياسي فيه

أشار القرآن الكريم إلى مسألة مهمة جدا ألا وهي أثر النظام السياسي في تدمير وتمزيق وانهيار وحدة المجتمع وتهديد وجوده من الأساس من خلال افساد المجتمع وافساد ما في الأرض٠

فالقرآن الكريم مرة يطرح مسألة الحكم وطبيعته في اشاعة ظاهرة الفساد من طغيان واستبداد واسراف وتعالي وتكبر واحتقار الآخرين وهذا ما نجده في الأنظمة المستبدة الدكتاتورية، فأجهزة الدولة كلها مسخرة لخدمة الحاكم وحاشيته، فمصالح الأمة والمجتمع مسحوقة وكرامتهم مهدورة ٠ فنزوات الحاكم قرارات وشهواته فوق مصالح المجتمع، فتصبح إمكانيًات الأمة والمجتمع الاقتصادية والفنية والاجتماعية وغيرها من امكانيًات أسيرة بيد ذلك الحاكم المستبد٠

فقد شبه الفساد مثل نار في هشيم تسري حرائقه فتحاصر آمال الجياع وسط سعير معاناتهم التي تنوء تحت ثقل نوائب لامثيل لها٠

فالقوانين التي جاء بها القرآن الكريم معطلة، والقوانين التي سنت لا تطبق إلَّا على الفقراء فقط ممن لا سند لهم، بينما المتنفذون لا يلتزمون بها ولا أحد يجرؤ على محاسبتهم، وهذا ما أكدته المرجعية الرشيدة في مناسبات عدة ٠

ومن أصول الفساد أن يخلق كبار المفسدين محررين أو متنفذين مريدين لهم يشترونهم بالمال فيتصاغرون ويلوون أعناق الحقائق من بين شر ما يعملون ٠

روي في شرح نهج البلاغة لأبي حديد: أنَّه كان في البصرة صديق لأبي سفيان يكنى ب(أبو العريان)وهو كفيف البصر وكانت البصرة تحت ولاية زياد بن أبيه بعد أن استلحقه معاوية بنسبه حدث مرَّة أنَّ أبي العريان كان جالسا في إحدى الطرق فسمع جلبة وضجيجا، فسأل ما هذا؟

قيل: موكب زياد بن أبي سفيان فقال منكرا: ما أعرف لأحي أبي سفيان ولدا بهذا الاسم ٠

فلما بلغ ذلك زيادا تكدر وأصابه غم فأشار البعض من حاشيته وقيل: أنَه قال له أحد أفراد حاشيته لو سددت عنك فم هذا المسعور، فأرسل إليه مئتي دينار، فقال له رسول زياد: هذا المال أرسله إليك أخوك زياد، ومر وقت ٠كان أبو العريان جالسا في مكانه فسمع ضجيجا، فسأل عن ذلك الضجيج، فقيل له: أنَ موكب الأمير زياد. فبكى ٠فقيل له: ما يبكيك يا أبا العريان؟ فقال سمعت صوت أخي أبا سفيان في الموكب(٣٩).

القرآن الكريم يطرح قضية فرعون وهامان نموذجا للأنظمة المستبدة التي أفسدت الأرض٠

فقد جاء في قوله تعالى (إنَّ فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنَّه كان من المفسدين)(٤٠) هذه الآية الكريمة تشير إلى الأنظمة المستبدة والتي تقوم بتمزيق المجتمع وإنهاء تماسكه وشيوع الاختلافات فيه ومن مساوئ هذه الأنظمة الظالمة والمفسدة هو الاعتماد على طائفة في ضرب الطائفة الأخرى، كي يبقى الحاكم فوق الجميع ففي مجتمع الفراعنة اعوان النظام الظلمة هم المتحكمون والطائفة الاوسع يقع عليهم الحيف والظلم والتجاوز والارهاب والطغيان وهذا من اوضح عمليات الافساد والتخريب التي تقوم بها الانظمة والحكام المفسدون، إنَّ فرعون طغى وبغى وتجاوز الحد في ذبح الأبناء واسترقاق النساء ولكن هذا التعدي والطغيان كان سببه اليهود لحقدهم وسوء تصرفهم وعلى فرعون؛ لأنه أخذ البريء بجرم المذنب(٤١)، القرآن الكريم اشار إلى حقيقة اجتماعية مهمة وهي لفت الانتباه إلى اثر تلك الانظمة السياسية الظالمة في تخريب وحدة المجتمعات وسقوطها وهدم روابطها وتمزيقها وقد اشار القرآن الكريم صراحة؛ ان تلك الانظمة هي السبب في فساد المجتمع نتيجة استبداد وطغيان الحكام من خلال السيطرة على المواقع العليا في أجهزة الدولة، لتحقيق مصالح خاصة لنخبة محددة وعادة ما يتم اقتناص الدولة بوسائل عديدة منها أدوات ووسائل الفساد السياسي(٤٢)، كما جاء في قوله تعالى (الذين طغوا في البلاد* فأكثروا فيها الفساد)(٤٣)، وقوله تعالى (ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض)(٤٤)، وقوله تعالى (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل)(٤٥).

إن الخلاص من الحكام الفاسقين طريقا إلى سعادة المجتمع واستقراره وان الحكام الظلمة هم سبب خراب العباد والبلاد.

المطلب الثالث

أوجه الفساد في القرآن الكريم

إن مدلول الفساد في ألفاظ القرآن الكريم مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره، فالمعاصي كلَها فساد، وهي خروج وانحراف عن جادة الطريق المستقيم، سواء أكانت هذه الانحرافات في مجال السلوك أم في مجال الجرائم الجنائية أم الحقوق المدنية أم الحقوق العامة وكما يلي:

منها(٤٦): الفساد بمعنى(المعاصي) كما في قوله تعالى(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض)(٤٧) يعني لا تعملوا فيها المعاصي، ونظير هذه الآية في سورة الأعراف في قوله تعالى (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)(٤٨) يقول صاحب الميزان: الإفساد في الأرض بحسب الإطلاق معناه جميع المعاصي والذنوب مما يتعلق بحقوق الله أو بحقوق الناس وكل ما يتعلق بسلب الأمن العام في الأموال والأعراض والنفوس كقطع الطريق ونهب الأموال وهتك الأعراض وقتل النفوس المحترمة(٤٩).

ومنها: الفساد بمعنى(الهلاك) كما ورد في قوله تعالى(لتفسدنَ في الأرض مرتين)(٥٠) يعني في الارض مرتين ونظير هذه الآية قوله تعالى: (لوكان فيها آلهة إلا الله لفسدتا)(٥١) يعني لهلكتا، وأيضا نظيرها في سورة المؤمنون (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)(٥٢) يعني لهلكت ٠

ومنها: الفساد في البر والبحر يعني قحط المطر وقلة النبات قوله تعالى في سورة الروم (ظهر الفساد في البر والبحر)(٥٣) أي قحط المطر وقلة النبات، (في البر) يعني البادية (وفي البحر) يعني العمران والريف وهناك آراء أخرى في ذلك.

ومنها: الفساد يعني القتل، وهذا ما نجده في قوله تعالى في سورة الأعراف (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك)(٥٤).

أي ليقتلوا أبناءكم ٠هذا إغراء منهم لفرعون وتحريض له أن يقتل موسى وقومه وحسب ما ورد في الآية الكريمة عن لسان فرعون أنّا فوقهم قاهرون فسوف نقتل أبناءهم ونستحي نساءهم(٥٥) وهذا ما يشير إليه قوله تعالى (إنّي أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)(٥٦) وكذلك ما نجده في قوله تعالى (إنَّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض)(٥٧) يعني قتّالين الناس، ومنها: الفساد بعينه كما في قوله تعالى في سورة البقرة (ليفسد فيها)(٥٨) بعني الفساد بعينه وكقوله في نفس الآية (والله لا يحب الفساد)، أي إذا تولى هذا المنافق الشديد الخصومة أمر الناس؛ سعى في الأرض ليفسد فيها أو بمعنى الإعراض عن المخاطبة والمواجهة، فهذا الإنسان مرائي أمام الناس ما يظهره هو طلب الصلاح والخير ويضمر في نفسه السعي في الأرض لأجل الفساد والإفساد(٥٩).

وكذلك ما ورد في قوله تعالى في سورة النمل (إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)(٦٠) يعني خربوها٠

إفساد القرى تخريبها وإحراقها وهدم أبنيتها وإذلال أعزة أهلها بالقتل والأسر والسبي والإجلاء والتحكم، أي أنَّ الحرب لا تنتهي إلَّا إلى غلبة أحد المتحاربين وفيها فساد القرى وتخريبها(٦١)٠

ومنها: الفساد(يعني السِّحر) وهذا ما ورد في قوله تعالى (إنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين)(٦٢) يعني السَّحرة، هذه الحقيقة تستلزم أنَّ السحر وكل عمل باطل لا يدوم في الوجود وهذا ما أكده عزَّ وجل في مواضع كثيرة ومنها على سبيل الحصر (إنَّ الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)(٦٣) وقوله تعالى (والله لا يهدي القوم الفاسقين)(٦٤)(٦٥).

جاء في قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنَّ الله لا يحب المفسدين)(٦٦).

ورد في مصباح الشريعة قول للإمام الصادق عليه السلام: ما في معناه فساد الظاهر من فساد الباطن ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن خان الله في السر هتك الله سرَّه في العلانية(٦٧) وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى، إذ أنَّ هذا الفساد يتولد من خلال الجور والخيانة والتكبر والتجبر والعيش في الإسراف والبذخ، والمجتمع يأن من الجوع والعوز وكانت هذه الخصال مما تميز واتصف بها قارون وهو ما أخبر بها الله تعالى من حبِّ الدنيا إتباع هوى النفس وشهواتها وموافقة الشيطان وإتباع خطواته كل ذلك مجموع تحت الغفلة عن الله تعالى ونسيان مننه(٦٨)٠

الفرق بين الصالح والمفسد وبين التقي والفاجر كالفرق بين الطيب والخبيث وبين الأعمى والبصير وهذا ما أكدته الآية القرآنية(أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)(٦٩) قيل: أنَّ هذه الآية نزلت في بني هاشم، وإنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمتقين هم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأخوه جعفر وعبيدة بن الحرث والطفيل بن الحارث وزيد بن الحارثة وأم أيمن وغيرهم، وإنَّ المفسدين والفجار هم من بني عبد شمس هذا ما قاله أبو بكر المعروف بابن عربي(٧٠)، إن عدم وجود هدف من خلق العالم يعد ضربا من المستحيل، كذلك من المستحيل المساواة بين الصالحين والطالحين كون الصالحين يسيرون على خط مستقيم وفق أهداف خلق العالم وصولا إلى الغاية النعمائية بينما الطالحون يسيرون باتجاه مخالف لمسيرة الصالحين وهذه الآية تتناول المعاد بكافة أبعاده والآية التي سبقتها بشكل استدلالي٠

فحكمة الخالق تقتضي أن يكون لخلق العالم هدف وهذا الهدف لا يتحقق إلا بوجود عالم آخر ؛لأنَّ الأيام القلائل التي يعيشها الإنسان في هذه الدنيا لا قيمة لها بالنسبة للهدف الرئيس الكامن وراء خلق هذا العالم الواسع، وكذلك أنَّ

الحكمة وعدالة الباري تعالى تقتضي أن لا يتساوى المحسن والمسيء والعادل والظالم ولهذا كان البعث والثواب والعقاب والجنة والنار ٠

وبغض النظر عن هذا، لو ألقينا نظرة إلى ساحة المجتمع في هذه الدنيا نشاهد أن الفاجر في مرتبة المؤمن والمسيء إلى جانب المحسن ولربما نجد أنَّ المفسدين والمذنبين هم في حالة رفاه ونعيم أكثر من غيرهم وهناك من يدافع عنهم فإذا لم يكن هناك عالم آخر بعد عالمنا هذا لتطبيق العدالة، فإنَّ وضع العالم هذا يكون مخالف للحكمة والعدالة وهذا دليل آخر على مسألة المعاد٠

فلإثبات مسألة المعاد يكون من خلال الاستدلال عليها عن طريق برهان الحكمة وهناك استدلال آخر عن طريق برهان العدالة وهذان الاستدلالان تضمنته هذه الآية أعلاه والآية التي سبقتها(٧١).

المطلب الرابع

انواع الفساد ومدلولاته كما وردت في النصوص القرآنية

هناك خمسون موضعا وردت فيها كلمة الفساد في القرآن الكريم٠ونجد مصطلح الفساد متلازم مع كلمة الأرض وهذا التلازم مذكور في أربعين آية وقد يستخدم مصطلح الفساد بمعان متعددة: .

منها: حكاية على ألسنة الظالمين (أتباع فرعون) في وصفهم لأتباع موسى عليه السلام كما جاء في قوله تعالى(وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنَّا فوقهم قاهرون)(٧٢)، فيريدون بالإفساد في الأرض عبادة الله وحده التي تودي بطغيانهم وطغيان فرعون(٧٣)، وكقول بلقيس في وصف الملوك (قالت إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون)(٧٤)، ومنها: قد يأتي مصطلح الفساد وصفا للطغاة المتعالين والمتسلطين على الناس بغير حق وهنا يعني الفساد الظلم والعدوان وهذا هو رأي السماء والشريعة وكما ورد في قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين)(٧٥).

ومنها: وقد يعبر به عن التحذير من عمل يفضي إلى الفساد وهذا ما يذكر في قوله تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلَّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)(٧٦)، فقد عبرت هذه الآية الكريمة عن مصطلح الفساد باتفاق مشركي العرب ويهود الحجاز والمنافقين على محاربة الإسلام والمسلمين٠

ومنها: فقد عبر القرآن الكريم عن مصطلح الفساد بتهديد الحياة الآمنة أي إخافة الآمنين بقطع الطريق عليهم وإراقة الدماء ونهب الأموال كما هو شأن العصابات الإجرامية، جماعات النهب المسلح أي كل من جرد السلاح لإخافة الناس بالضرب أو القتل أو السلب أو الإهانة أو هتك الأعراض وكما جاء في قوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)(٧٧) هنا (أو) يدل ظاهرها على التخير وعلى ضوء ذلك يترك الأمر لاجتهاد الحاكم في تنفيذ ما تُدرأ به المفسدة وتقوم به المصلحة من القتل أو الصلب أو القطع أو النفي(٧٨).

ومنها: . طلاق مصطلح الفساد على سفك الدماء وانتهاك العرض وكما ورد ذلك في القرآن الكريم منددا بفعل فرعون وقومه من طغيان وبغي، وتجاوز الحد في ذبح الأبناء واسترقاق النساء وهذا ما عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة (أنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنَّه كان من المفسدين)(٧٩).

من الحاجات الأساسية لأي مجتمع أن يشعر بالأمان والحماية والصحة والاطمئنان وفقدان هذه الحاجات فقدان لمعنى الحياة الحقيقي، فانتشار الخوف والرعب والقتل وهتك الأعراض والجوع والمرض فتصبح الحياة بدون أمل وتطور وتسود فيها شريعة الغاب٠

ومنها: . وهناك آيات عديدة، مصطلح الفساد فيها يقابل مصطلح الصلاح، مثل قوله تعالى (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)(٨٠) ومعناه النهي عن قتل المؤمنين، وإضلالهم والعمل بالمعاصي بالأرض، بعد أن أصلحها الله تعالى بالكتب والرسل(٨١).

وفي مثل قوله تعالى في سورة الشعراء(الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون)(٨٢).

وقوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربّه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلُفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)(٨٣)، (وأصلح) فيما بينهم، واجر على طريقتك في الصلاح . وقيل وأصلح فاسدهم في حالة غيبتي: وقيل أصلحهم أي: أحملهم على الطاعة (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي: لا تسلك سبيل العاصين المفسدين ولا تكن عونا للظالمين ولعله أراد أن يوضح لبني إسرائيل ويفهمهم أنَّ عليهم أن يمتثلوا لتعاليم هارون ونصائحه ومواعظه السديدة (٨٤).

ومنها: مصطلح الفساد جاء في القرآن الكريم بمعنى القطيعة ... أي: قطيعة الأرحام والتدابر بين المسلمين وقطع كل ما أمر الله به أن يوصل قال تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أُولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)(٨٥) هذه الآية الكريمة مطلقة فالمراد به كل صلة أمر الله سبحانه بها ومن أشهر مصاديقه صلة الرحم التي أمر الله تعالى بها وأكد القول على وجوبها(٨٦)، ومثل ذلك في قوله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)(٨٧) قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن وقيل أن تفسدوا في الأرض بالظلم(٨٨).

ومنها: . الطغيان من مدلولات الفساد في القرآن الكريم في وصف آل فرعون وهذا ما نجده في قوله تعالى (الذين طغوا في البلاد* فأكثروا فيه الفساد)(٨٩) وليس وراء الطغيان إلا الفساد فالطغيان يفسد الطاغية ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة(٩٠).

فمدلول الفساد في ألفاظ القرآن الكريم مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره والله سبحانه جعل المعاصي كل المعاصي، فسادا في الأرض، فكل المخالفات خروج عن جادة الصلاح، وانحراف عن الطريق المستقيم سواء كانت هذه المخالفات في مجال السلوك أو مجال الجرائم الجنائية أو الحقوق المدنية أو الحقوق العامة.

سأتناول آيات قرآنية وردت فيها لفظة (الفساد) بالشرح والتوضيح لما لها من أهمية في توضيح معنى ومدلول الفساد:

قال الله تعالى (وإذا تولّى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)(٩١) قيل: أنَّ سبب نزول هذه الآية، لما زار الأخنس بن شريف الثقفي وهو حليف بني زهرة المدينة المنورة أقبل إلى الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم أني لصادق، فمن خلال قوله هذا أعلن إسلامه وقد أشهد الله تعالى على ما في قلبه، ثم خرج من عند الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) فأثناء مروره بزرع لبعض من المسلمين وكذلك حمرهم فقام بإحراق الزرع وعقر الحمر فأنزل الله تعالى الآية الكريمة(٩٢)، وفي المجمع والقمي عن الصادق (عليه السلام)الحرث في هذا الموضع الدين والنسل الناس(٩٣)، وفي الكافي والعياشي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يهلك الحرث والنسل بظلمه وسوء سيرته(٩٤).

وقد وردت رواية أخرى في تفسير هذه الآية مفادها أنَّ الأخنس عندما مرَّ بزرع المسلمين وحيواناتهم، أحرق الزرع وأهلك مواشيهم أو كما يفعله أولاد السوء من قتل وإتلاف وظلم، حتى يمنع الله تعالى بسوء منهم القطر(٩٥).

وفي رواية عن الطبري (وإذا خرج هذا المنافق من عندك يا محمد غضبان عمل في الأرض بما حرَّم الله عليه، وحاول فيها معصية الله، وقطع الطريق، وافساد السبيل وسفك الدماء .فإذا قيل لتفعل كذا وكذا قال أتقرب به إلى الله عز وجل)(٩٦) فالكل أجمع على أنُ مدلول الفساد في هذه الآية هو تدمير الأرض من خلال حرقها وإنهاء الحياة فيها وقتل الحيوانات حتى لا ينتفع الإنسان المسلم منها وكذلك قطع الطريق وكما يفعله الإرهابيون اليوم في أرضنا .

قال تعالى (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنَّ الله لا يحب المفسدين)[٩٧] ورد في مصباح الشريعة قول للإمام الصادق(عليه السلام) فساد الظاهر من فساد الباطن ومن أصلح الله سريرته أصلح الله علانيته ومن خان الله في السر هتك الله سرَّه في العلانية وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى والفساد هذا يتولد من طول الإنسان وحرصه والكبر كما أخبر الله تعالى في قصة قارون في قوله تعالى (ولا تبغ الفساد في الأرض إنَّ الله لا يحب المفسدين) وقد اتصف قارون بهذه الخصال واعتقد بها وصنعها لحبه الدنيا ومتابعة النفس وهواها وشهواتها وموافقته واتباعه للشيطان بكل خطواته، وكل ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منه[٩٨] ولأهمية هذه الرواية في إيضاح المعنى ولغرض الربط بالروايات الأخرى تم تكرار هذه الرواية.

وفي رواية أوردها الطبري في تفسيره (ولا تبغ الفساد في الأرض) قيل: ولا تلتمس ما حرَّم الله عليك من البغي على قومك (إنَّ الله لا يحب المفسدين) أي إنَّ الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي[٩٩].

وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد في الأرض وتسئ إلى خلق الله [١٠٠]

وفي قوله تعالى (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلَّا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين)[١٠١] إنَّ الله سبحانه وتعالى كان يحذر أولئك الذين ارتكبوا جرائم الفساد بإنزال أشد العقاب بهم ويتحقق وعد الله تعالى، وفي هذه الآية الكريمة كان فيها تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من كان قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود وسائر الأقوام القديمة الذين ذكرهم القرآن الكريم وأخبر بهلاكهم (أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض) أي كان يجب أن يكون منهم قوم باقون في الأرض ينهون عن الفساد مع انعام الله تعالى عليهم بكمال العقل والقدرة وبعث الرسل اليهم لإقامة الحجج وهدايتهم إلى طريق الإيمان ثم يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٠٢] وفي روية أخرى أولئك الذين اجتمعوا على الكفر وعاشوا في الأرض فسادا حتى استأصلهم الله بالعذاب والعقوبات لتماديهم بالكفر ومعاصيهم لله تعالى ثم إستثنا بقوله تعالى (إلَّا قليلا) أي إنهم هلكوا جميعا إلَّا قليلا من أنجى الله منهم وهم الذين آمنوا مع الرسل ونجوا من العذاب الذي أنزله الله بهم[١٠٣].

الخاتمة

إن ما توصل البحث من نتائج هي كما يلي:

١. الفساد امر مرفوض ومستهجن بالوجدان كونه لا يمت بصلة إلى الإسلام الحنيف.
٢. الفساد نقيض الصلاح وتفاسد القوم يعني ان المفسدة خلاف المصلحة والفساد خلاف الاستصلاح.
٣. ومن نتيجة فساد الإنسان في الأرض هو الذهاب به إلى الهاوية في الدنيا والآخرة وكذلك الحاق صفة الخزي والعار له في الدنيا والآخرة ايضا.
٤. ومن خلال تنقيبي في مضمون لفظة الفساد وجدت إن هناك موانع كثيرة له منها التدافع بين الامم وان الغاية من رد الظلم والاعتداء هو المحافظة على التوحيد والحق والعدالة في الأرض.
٥. يجب إتباع ما اثر عن أهل البيت (عليهم السلام) في ردهم للظلم وتحقيق العدالة الاجتماعية ومنعهم للفساد بكل وجوهه وحتى اذا اقتضى ذلك تضحيتهم.
٦. من نماذج الأمم الفاسد والمفسدة في الأرض هم الصهاينة الذين يعدون من الأمم الباقية إلى يوم القيامة.
٧. اوصي في نهاية خاتمة بحثي الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي وتشريعاته لكي تقينا من الفساد والمفسدين في الأرض.

هوامش البحث

القرآن الكريم

١. لسان العرب / ابن منظور ٣/ ٣٦٣
٢. مفردات ألفاظ القرآن /للأصفهاني ص٣٨١
٣. القاموس المحيط / الفيروزآبادي ص٤٤٤
٤. ظ: التعريفات /علي بن محمد الجرجاني ص٢١٤
٥. ظ: شرح التلويح على التوضيح/ مسعود بن عمر التفتزاني ١٤٦/٢
٦. ظ: قواعد الأحكام في مصالح الأنام /عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ١٢/١
٧. ظ: التوقيف على مهمات التعاريف / محمد بن عبد الرؤوف المناوي ٥٥٦/١
٨. ظ: التبيان في تفسير القرآن/ الشيخ الطوسي ١/ ٧٥
٩. البقرة /١١
١٠. ظ: المعجم. الفروق اللغوي . أبو هلال العسكري ص٤٠٥
١١. ظ: مؤشر الفساد في الأقطار العربية/ المنظمة العربية لمكافحة الفساد ص٣٤
١٢. الأعراف/٥٩. ٦٠
١٣. الأعراف/ ٦٥
١٤. الأعراف/ ٧٣
١٥. هود/ ٣٢
١٦. الأعلاف/ ٧٨
١٧. ظ: .تفسير القرآن العظيم /ابن كثير٩٨/٣ وتلخيص البيان في مجازات القرآن /الشريف الرضي ص٩. ١١
١٨. هود/ ٧٨. ٧٩
١٩. هود/ ٨٢
٢٠. ظ: السيرة النبوة لابن هشام ص٩٥
٢١. المؤمنون/ ٥. ٦. ٧
٢٢.ظ: تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير٥١/٢
٢٣. المطففين/ ٦.١
٢٤. ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ الشيخ ناصر الشيرازي ١٢/١٠
٢٥. الكافي /الكليني ١٥٠/٥
٢٦. ظ: المصدر نفسه ١٥٠/٥
٢٧. البقرة/ ٢٧٥
٢٨. ظ: تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٥٢/١
٢٩. الفرقان/٦٧
٣٠. الإسراء/٢٩
٣١. ظ: زبدة البيان/ المحقق الأردبيلي ص٤٤٩
٣٢. النساء /٢٩
٣٣. ظ: التبيان في تفسير القرآن / الطوسي ص

٣٤. البقرة /١٨١
٣٥. ظ: .مصباح الفقاهة / تقريرات ابحاث السيد الخوئي (قدس سره) بقلم محمد علي التوحيدي.٤١٦/١
٣٦. ظ: .مؤشر الفساد في الاقطار العربية ص٣٨
٣٧. ظ. رسالة الإسلام / مجلة إسلامية عالمية ص٩
٣٨. النساء/ ٢٩
٣٩. شرح نهج البلاغة /ابن ابي الحديد ١٨٧/١٦
٤٠. القصص/٤
٤١. التفسير الكاشف / محمد جواد مغنية ٤٨/٦
٤٢. مؤشر الفساد في الأقطار العربية ص٣٥
٤٣. الفجر /١١. ١٢
٤٤. الكهف /٩٣
٤٥. البقرة/٢٠٥
٤٦. ظ: الوجوه والنظائر لألفاظ القرآن / الشيخ ابي عبد الله الحسين الدامغاني ص٥٨٥
٤٧. البقرة/١١
٤٨. الاعراف /٥٦
٤٩. ظ: الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي ١٨٧/٨
٥٠. الاسراء / ٤
٥١. الأنبياء /٢٢
٥٢. المؤمنون /٧١
٥٣. الروم /٤١
٥٤. الأعراف /١٢٧
٥٥. ظ: الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي ٢٢٢/٨
٥٦. غافر/٢٦
٥٧. الكهف/٩٤
٥٨. البقرة/٢٠٥
٥٩. ظ: الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي٩٩/٢
٦٠. النمل /٣٤
٦١. ظ: الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي٣٦١/١٩
٦٢. يونس/٨١
٦٣. غافر/٢٨
٦٤. المائدة/١٠٨
٦٥. ظ: الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي ١٠٥/١١
٦٦. القصص/٧٧
٦٧. ظ: تفسير الصافي / الفيض الكاشاني ١٠٣/٤
٦٨. ظ: المصدر نفسه ١٠٢/٤

٦٩. ص/٢٨
٧٠. ظ: تفسير الكاشف / محمد جواد مغنية ٣٧٦/٦ نقلا عنه
٧١. ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / الشيرازي ٣٦٢/١٤
٧٢. الأعراف/١٢٧
٧٣. ظ: تفسير الكاشف / محمد جواد مغنية ٣٨١/٣
٧٤. النمل /٣٤
٧٥. القصص/٨٣
٧٦. الأنفال/٧٣
٧٧. المائدة /٣٣
٧٨. ظ: .مجمع البحرين /فخر الدين الطريحي ٤٧٩/١
٧٩. القصص/٤
٨٠. الأعراف /٨٦
٨١. ظ: مجمع البيان /الطبرسي ٢٧٠/٨
٨٢. الشعراء/١٥٢
٨٣. الأعراف/١٤٢
٨٤. ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / الشيرازي ٤٩٠/٤
٨٥. الرعد /٢٥
٨٦. ظ: الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي ٣٤٥/١٣
٨٧. محمد/٢٢
٨٨. ظ: تفسير البغوي / ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء ٢١٦/٤
٨٩. الفجر/١١-١٢
٩٠. ظ: في ظلال القرآن/ سيد قطب ٣٩٠٤/٣٠
٩١. البقرة /٢٠٥
٩٢. ظ: أسباب نزول القرآن / ابو الحسن علي بن احمد الواحدي ص ٣٩
٩٣. ظ: تفسير الصافي / الفيض الكاشاني ٢٤٠/١
٩٤. ظ: تفسير العياشي / محمد بن مسعود ٢٠١/١
٩٥. ظ: تفسير كنز الدقائق /الميرزا محمد ص٤٩٧
٩٦. جامع البيان / الطبري ٣٨١/٢/
٩٧. القصص /٧٧
٩٨. ظ: تفسير الصافي / الفيض الكاشاني ١٤٢٩/١
٩٩. ظ: جامع البيان / الطبري ١٣٧/٢٠
١٠٠. ظ: تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٥٧٥/٣
١٠١. هود/ ١١٦
١٠٢. ظ: التبيان / الشيخ الطوسي ٨١/٦
١٠٣. تفسير الصافي / الفيض الكاشاني ٥٨٥/١

المصادر والمراجع

١. أسباب نزول القرآن/أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري/الناسر: مؤسسة الحلبي /المطبعة: دار أنصار وشركاه.

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ الشيخ ناصر الشيرازي/ الطبعة الأولى/ مطبعة سليمان زاده / ايران . قم ١٤٢٦هـ . ١٩٨٤م

٣. التبيان في تفسير القرآن/ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)/ تحقيق: أحمد حبيب العاملي/ط١ ١٤٠٩هـ/مطبعة مكتبة الأعلام الإسلامي (طبع ونشر)

٤. التعريفات/ أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) دار الكتاب العربي بيروت ط ١. ١٤٠٥هـ

٥. تفسير البغوي/ المسمى معالم التنزيل / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي/ ط٢ ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م/ دار أحياء التراث العربي/ بيروت . لبنان

٦. تفسير الصافي/ محسن الملقب الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ) صححه وعلق عليه وقدم له الشيخ حسين الأعلمي/ منشورات الأعلمي / بيروت، لبنانط١ ١٤٠٩هـ

٧. تفسير القرآن العظيم/ اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) تحقيق محمد نصر الله وعبد الرحمن الهاشمي/ مؤسسة المختار للتوزيع والنشر / القاهرة ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م

٨. تفسير العياشي/ أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي/ (ت٤٣٠هـ) تحقيق هاشم الرسولي/ المكتبة العلمية الإسلامية / طهران د.ط،ت

٩. تفسير الكاشف / محمد جواد مغنية /الناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي /ط١ ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م المطبعة: مطبعة أسوة.

١٠. تفسير كنز الدقائق/ الميرزا محمد / المحقق آمال مجتبي / الناشر مؤسسة النشر الإسلامي / طهران /د، ت

١١. النوقيف على مهمات التعاريف/ محمد بن عبد الرؤوف المناوي / دمشق دار الفكر / ط١ ١٤١٠هـ

١٢. تلخيص البيان في مجازات القرآن/ الشريف الرضي(محمد بن الحسين) (ت٤٠٦هـ) تحقيق: د. محمد عبد الغني حسن/ الدار احياء الكتب العربية/ القاهرة ١٣٥٠ هـ . ١٩٥٥م

١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري /ضبط وتعليق محمود شاكر/ دار إحياء التراث العربي بيروت

١٤. رسالة الإسلام / مجلة اسلامية عالمية/ تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية / السنة الرابعة / العدد الأول ١٣٧١هـ ١٩٥١

١٥. زبدة البيان في أحكام القرآن / المحقق الأردبيلي (ت٩٩٣هـ) تحقيق: محمد باقر البهبودي/ الناشر: مكتبة المرتضوية لإحياء التراث د ت

١٦. سيرة ابن هشام / محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد / ط ١٣٨٣هـ / الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده

١٧. شرح التلويح على التوضيح/ مسعود بن عمر التفتزاني / القاهرة / مكتبة صبيح د ت ط

١٨. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد /(٦٥٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ المطبعة: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / الناشر: دار احياء الكتب العربية

١٩. في ظلال الكتب الإسلامية / سيد قطب / ط٣٤ . ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م /دار المشرق القاهرة

٢٠. القاموس المحيط /الفيروزأبادي (أبو الطاهر مجد الدين) (ت٨١٧هـ) المطبعة الأميرية / ط٣ ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م

٢١. لسان العرب / ابن منظور (محمد بن كرم)(ت٧١١هـ) دار صادر . بيروت د،ت

٢٢. الكافي/الكليني (ت ٣٢٩هـ) علي اكبر غفاري الناشر دار الكتب الإسلامية/ ط ٣ ١٣٦٧ هـ

٢٣. قواعد الأحكام في مصالح الانام / عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي / بيروت / دار الكتب العلمية د ت

٢٤. مجمع البيان في تفسير القران /ابو علي الفضل الحسين (ت٥٤٨هـ)تحقيق: هاشم رسولي/ ط٢ ١٤٢٥/٢٠٠٥م/مؤسسة الأعلمي للمطبوعات /لبنان، بيروت

٢٥. مجمع البحرين /الشيخ فخر الدين ألطريحي (ت ١٨٥هـ) تحقيق السيد احمد الحسيني/ ط٢ ١٤٠٨هـ /الناشر مكتب نشر الثقافة الإسلامية

٢٦. مصباح الفقاهه / تقريرات ابحاث السيد الخوئي (قدس سرّه) بقلم محمد علي التوحيدي/ المحققة/ المطبعة العلمية. قم

٢٧. المعجم. الفروق اللغوية /ابو هلال العسكري /تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامية /ط١ ١٤١٢هـ /الناشر: جامعة المدرسين قم

٢٨. المفردات الفاظ القران في غريب القران /الأصفهاني (ابو القاسم الحسين بن محمد) (ت٥٠٢هـ) تحقيق: محمد خليل/ ط٣/ دار المعرفة/ بيروت ١٤٢٢هـ

٢٩. الوجوه والنظائر لألفاظ القران /الشيخ ابي عبد الله الحسين الدامغاني (ت ٤٧٨هـ) تحقيق فاطمه يوسف ١٤١٧هـ. ١٩٩٨م/ مكتبة الفارابي دمشق

٣٠. مؤشر الفساد في الأقطار العربية /اشكالية القياس والمنهجية/ المنظمة العربية لمكافحة الفساد/ احمد سليم وعزمي الشعيبي الخ. بيروت ٢٠١٠م

٣١. الميزان في تفسير القران/ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) الناشر: مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين. بقم